الصفحة الرابعة عشرة حكي كثير!

والد الكاتب صاحب السيرة رحمه الله

د. سيد شعبان

أظهر ما في سيرته ذلك العقل الذي لم يغب لحظة؛ تركت تجاربه في الحياة بصمتها على أقواله فجعلته ينطق بالحكمة تراه فتدهش لذلك الهدار المنساب من وعاء لاينضب؛ في كل موقف تجد له مقولة تذكرك أو تنبهك أو تهبك نصحا، وعيته يستمع إلى إذاعة القرآن الكريم وينصت خاشعا لتلاوة شيوخها، يتمنى أن يجد ولدا من أبنائه وقد ارتدى الجبة والقفطان، يسألني كم حفظت من كتاب الله، يضربني إن لم يجدني مصليا، كان يراني أمله ومفخرته التي بها يتخفف عناء جهده وتعب سيره في بلاد الله.

ربما بدا قاسيا أو ممسكا بعصاه لكنه أبعد ما يكون عن هذا فبعض اليسر يتخلل صمته وإذا ما ضحك كان طفلا بريئا لم يعرف كرها ولا ينطوي على غير الحب.

يمد رجليه ويتوكأ على مسنده ثم يبدأ في استدعاء مسروده، هذا الحاج محمود أبو طاحون أبو أحمد يذكره كثيرا وله من المواقف معه ما يظل يرويها؛ في عراك أو في منافرة بل في زرع وحصد؛ ولاينسى عمه الحاج لبيب وقد كان رجلا يعرف معادن الناس، تضارب هنا على نوبة الري فإذا كل أولاد عمه الأشقاء وكانوا أربعة يلبون إشارته ويساندونه إن ظالما وحاشاه أن يكون مظلوما فهذا مما درجت عليه القرى أن تكون العصا سابقة لا تعقب غيرها.

أو ما تراه يقص عليك حديث خاله الحاج توفيق حسان في قرية منية جناج؛ تاجر البرتقال وقد كثرت عياله واشتد به الضيق فإذا به يبيع سقف بيته، يفزع إليه ويخرجان معا طلبا للرزق يضربان في الأرض فما عاد من كراء حديقة آل البرقوقي إلا وقد نالا من الخير ما سدد وأربى على الحاجة.

يوم أن أطلق ابن خاله طلقة من مسدسه؛ إذ كان حامد شابا مزهوا يجامل في غير اكتراث، ضلت سبيلها وأردت امرأة في شرفة بيتها قتيلة؛ كيف لازم خاله ووسعه من ماله حتى انقضت على خير صلح وبدلت مصاهرة؛ فكان رجلا داهية يميت الشر بكرمه وعقله.

يحكي كثيرا فتكون الحياة أكثر سعة!

من الصغر احبه

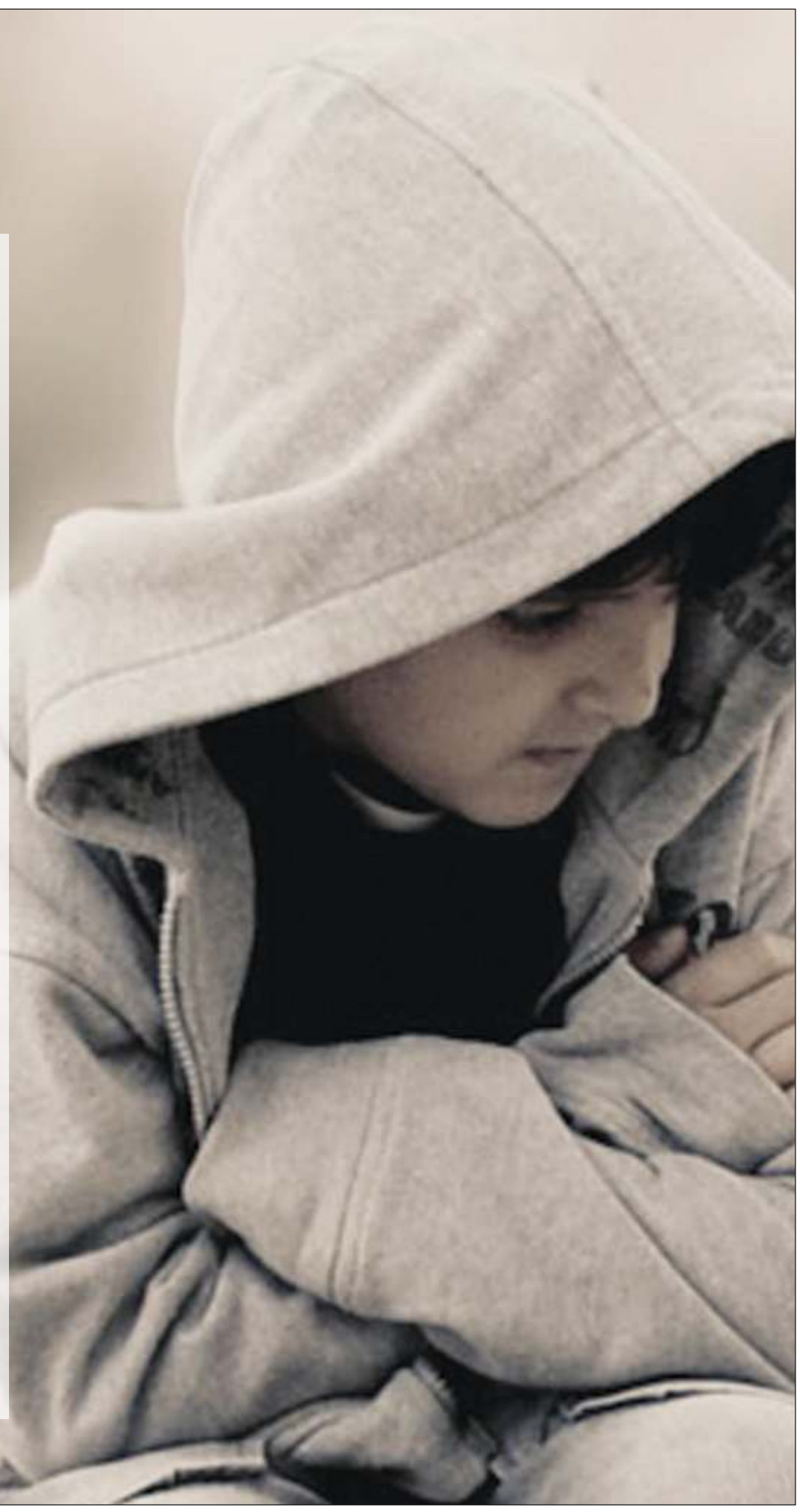

غرامه ربي بداخلي وانتشر بالحيل
من الصغر حبه في حشى النفس منغرسي
انا في نظر عيني حشى ماسمعت القيل
اهو حاضري ومستقبلي وباكري وامسي
جحدني مثل مايجحد الكافر التنزيل
فجعني مثل فجع الهواجيس للمسي
جرحني مثل جرح الثرى من غزير السيل
رماني مثل مايرمى بالي اللبسي
محبة ثمان سنين ضاعت بلا تحصيل
تصدق ختمها صاحبي يوم قال : انسي ؟
ختمها بصمت لاوداع ولا تعليل
ولازال جرحه داخل الروح مايبسي
تسرب طواري صاحبي مع ظلام الليل
تحرم عليه لامست الخلق ما أمسي
آويلاه عقب الحب والخير والتدليل
اهل الدموع وخاطري ضايق عمسي
على ادناة شي ازعل وعلى ادناة شي اعيل
اويلاه عقب اليوم ياخفها نفسي
ياويلي عليه اليوم ويلٍ يجر الويل
عقب صاحبي كن القدر معلن حبسي
فلا عدت اميز ياعرب بالعدل والميل
خياله يتابعني من الصبح لين امسي

عابرة سبيل